

الحَبِيثُ

عناصر الموضوع

٢٧٤	مفهوم الخبيث
٢٧٥	الخبيث في الاستعمال القرآني
٢٧٦	الألفاظ ذات الصلة
٢٧٨	الموصوف بالخبيث في القرآن
٢٨٨	بين الطيب والخبيث
٢٩٥	الاغترار بكثرة الخبيث
٢٩٨	تحريم الخبائث
٣٠٢	التناسب بين الخبيثين
٣٠٥	الخبيث في المثل القرآني
٣٠٨	مصير الخبيث وأهله

مفهوم الخبيث

أولاً: المعنى اللغوي:

خبث الشيء خبائثه وخبثاً فهو خبيث، وهم خبثاء وخبثاء، والخبيث: نعت كل شيء فاسد، وخبيث الطعم، وخبيث اللون وبه خبث، وخبائثه وأخبث فهو مخبث إذا صار ذا خبث وشر.

والخبيث: ضد الطيب من الرزق والولد والناس، وقد خبث الشيء خبائثه، وخبث الرجل خبثاً، فهو خبيث، وأخبثه غيره، أي: علّمه الخبث وأفسده، وأخبث أي: اتخذ أصحاباً خبثاء، فهو خبيث مخبث ومخبثان، والكفر مخبئة لنفس المنعم، والأخبثان البول والغائط، وشيء خبيث، أي: نجس، والمخبث: الذي يعلم الناس الخبث، ويطلق الخبيث على الحرام كالزنا، وعلى الرديء المستكره طعمه أو ريحه كالثوم والبصل، وعلى الحرام وعلى الكافر، ومنه الخبائث، وهي التي كانت العرب تستخبثها مثل: الحية والعقرب^(١).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

الخبيث: هو ما يكره بسبب رداءته وخسته سواء أكان محسوساً أم معقولاً، وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والتفكير، والكذب في المقال، والقيح في الأفعال والتصرفات^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

من خلال التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي للفظ (الخبيث) يتضح لنا بجلاء العلاقة الوثيقة بين المعنيين، حيث إن الخبيث اصطلاحاً تعني المكروه لرداءته وفساده، والخبيث لغة تعني الفاسد والرديء والمحرم والمكروه.

(١) انظر: العين، الفراهيدي ٢٤٨/٤، تهذيب اللغة، الأزهري ١٤٦/٧، الصحاح، الجوهري ٢٨١/١، مجمل اللغة، ابن فارس ٣١٠، أساس البلاغة، الزمخشري ٢٢٨/١.

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ١٥٢.

الخبيث في الاستعمال القرآني

وردت مادة (خبيث) في القرآن بصيغ متعددة، بلغت (١٦) مرة^(١).
والصيغ التي جاءت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١	﴿وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]
الصفة المشبهة	١٣	﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]
الجمع	٢	﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

وجاء الخبيث في الاستعمال القرآني بمعنى: ما يكره رداءة وخساسة، محسوسًا كان أو معقولًا، وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبیح في الفعال^(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٠٧-٢٠٨.
(٢) انظر: نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص ٢٧٠-٢٧١، بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي ٢/ ٥٢٢.

الألفاظ ذات الصلة

١ الرديء:

الرديء لغة:

الرديء: الدون من الأشياء، والخابث: الرديء من كل شيء، والرديء الفاسد والمنكر والمكروه والوضيع الخسيس، والجمع أردثاء^(١).

الرديء اصطلاحًا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للرديء عن معناه اللغوي.

الصلة بين الرديء والخبيث:

الرديء والخبيث من المترادفات في المعنى، فالرديء هو الخبيث والفاسد.

١ الطيب:

الطيب لغة:

الطيب: الأفضل من كل شيء، والطيب: كل ما تستلذه الحواس أو النفس والطيب الحلال، وكل ما خلا من الأذى والخبث، وهو ضد الخبيث^(٢).

الطيب اصطلاحًا:

الطيب: لفظ ويراد منه ثلاثة معان: الطاهر، والحلال، والمستلذ.^(٣)

الصلة بين الخبيث والطيب:

الطيب والخبيث ضدان؛ فالطيب طاهر حلال، والخبيث نجس حرام.

١ الفاسد:

الفاسد لغة:

فسد يفسد فسادًا وفسودًا، نقيض صلح، فهو فاسد^(٤).

(١) انظر: المخصص، ابن سيده ٤ / ٤٥، مختار الصحاح، الرازي، ص ١٢١، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١ / ٣٣٧.

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ١٤ / ٢٩، تاج العروس، الزبيدي ٣ / ٢٨٤، معجم لغة الفقهاء، قلعي وقنيبي، ص ٢٩٤، القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، ص ٢٣٦.

(٣) انظر: الكليات، الكفوي، ص ٥٨٦.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٤ / ٥٠٣.

الفاسد اصطلاحاً :

«هو خلاف الصحيح، وهو ما لا يترتب أثره عليه»^(١).

الصلة بين الفاسد والخبث:

الخبث أعم، فكل خبيث فاسد، وليس كل فاسد خبيث.

١ النجس:

النجس لغة:

النجس: الشيء القذر حتى من الناس، وكل شيء قدرته فهو نجس^(٢).

النجس اصطلاحاً:

قال المتولي: «النجاسة في اصطلاح الفقهاء: كل عين حرم تناولها على الإطلاق، مع إمكان تناول لا لحرماتها»^(٣).

الصلة بين الخبيث والنجس:

الخبث والنجس من المترادفات أيضاً.

١ الحرام:

الحرام لغة:

الحرام من حرم، فالحاء والراء والميم أصل واحد، وجمع الحرام حرم، والحرام ضد الحلال، والحرام هو المنع والتشديد^(٤).

الحرام اصطلاحاً:

هو ما طلب الشارع من المكلف تركه على وجه الإلزام، بحيث يعاقب فاعله ويثاب تاركه^(٥).

الصلة بين الحرام والخبث:

إن بين الخبيث والحرام علاقة وثيقة حيث إن الخبيث محرم لخبثه وفساده، فكل خبيث محرم.

(١) القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، ص ٢٨٥.

(٢) انظر: العين، الفراهيدي ٦ / ٥٥.

(٣) المشور في القواعد الفقهية، الزركشي ٣ / ٢٤٨.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٢ / ٤٥.

(٥) انظر: علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ص ١١٣.

الموصوف بالخبث في القرآن

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الطَّيِّبَ وَالْخَبِيثَ
وَأَمَرَنَا بِالطَّيِّبِ وَنَهَانَا عَنْ كُلِّ خَبِيثٍ؛ لِأَنَّ مِنْ
خَلْقِنَا أَكْثَرَ بَنِي بَنِي أَنْفُسِنَا، وَالْخَبِيثُ يَكُونُ
فِي الْأَمْوَالِ فَهَذَا الْحَرَامُ وَالْحَلَالُ، وَهَذَا
الْخَبِيثُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْخَبِيثُ مِنَ النَّاسِ
الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ اللَّهِ بِكُلِّ سَبِيلٍ، وَهَذَا
أَيْضًا الْخَبِيثُ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ.

أولاً: الخبث في الأموال:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ
بِإَخْذِيذٍ إِلَّا أَنْ تَنْحَصِرُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: «نَزَلَتْ فِيْنَا
مَعَشَرَ الْأَنْصَارِ، كُنَّا أَصْحَابَ نَخْلٍ، وَكَانَ
الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْلِهِ عَلَى قَدَرِ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ،
وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِالْقَنَوِ وَالْقَنَوَيْنِ فَيَعْلِقُهُ فِي
الْمَسْجِدِ، وَكَانَ أَهْلُ الصِّفَةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ،
فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى الْقَنَوَ فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ
فَيَسْقُطُ الْبَسْرُ وَالتَّمَرُ فَيَأْكُلُ، وَكَانَ نَاسٌ مِمَّنْ
لَا يَرِغِبُ فِي الْخَيْرِ يَأْتِي الرَّجُلَ بِالْقَنَوِ فِيهِ
الشَّيْصُ وَالْحَشْفُ وَبِالْقَنَوِ قَدْ انْكَسَرَ فَيَعْلِقُهُ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا

تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِإَخْذِيذٍ إِلَّا
أَنْ تَنْحَصِرُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ﴾
[البقرة: ٢٦٧] (١).

إِنَّ الْكَسْبَ يَنْقَسِمُ إِلَى نَوْعَيْنِ: كَسْبُ
طَيِّبٍ وَآخَرُ خَبِيثٍ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُنَا
بِالْإِنْفَاقِ مِنْ حَلَالَاتِ مَا كَسَبْنَا مِنَ التَّجَارَةِ
وَالصَّنَاعَةِ، فَإِنْ مِنْ شَأْنِ الْمَالِ أَنْ يَجْعَلَ
الْمَرْءَ عَبْدًا لَهُ إِنْ لَمْ يَحْسُنْ إِدَارَتَهُ وَأَنْ يَعْرِفَ
الْإِنْسَانُ مَقْصُودَ الْمَالِ، وَأَنَّهُ لِمَاذَا خُلِقَ؟،
فَلَا يَحْفَظُ إِلَّا قَدْرَ الْحَاجَةِ، وَلَا يُعْطِيهِ مِنْ
هَمَّتِهِ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّهُ وَيَجْتَنِبُ الْحَرَامَ
الْمَحْضُ، وَيَجْتَنِبُ الْجَهَاتِ الْجَالِبَةَ لِلْمَالِ
الْمَكْرُوهَةَ الْقَادِحَةَ فِي الْمَرْوَةِ، كَالْهَدَايَا
الَّتِي فِيهَا شَوَائِبُ الرِّشْوَةِ، وَكَالسُّؤَالِ الَّذِي
فِيهِ الذَّلَّةُ، وَهَتَاكَ الْمَرْوَةِ (٢).

وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
(إِنْ هَذَا الْمَالُ خَضِرَ حُلُو، فَمَنْ أَخَذَهُ
بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ، بَوْرَكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ
بِإِشْرَافِ نَفْسٍ، لَمْ يَبَارِكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي
يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ
السُّفْلَى) (٣).

فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَحَرَّى كَسْبَهُ الطَّيِّبَ،

(١) أسباب النزول، الواحدي، ص ٨٨.

(٢) انظر: موسوعة فقه القلوب، التويجري ٤ /
٣٢٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا،
باب تأويل قول الله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ
يُؤْمِنُهَا أَوْدَيْنِ﴾ ٤ / ٥، رقم ٢٧٥٠.

منه وجه الله عز وجل، فهذا لا يثمر خيراً، وحظ صاحبه منه التعب في كسبه، والحسرة على ضياعه، والعذاب على إنفاقه في غير وجهه.

الثاني: من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله لا يرجو سواه، فهذا يثمر خيراً، وحظ صاحبه منه الأجر في كسبه، ومضاعفة أجره وماله، وتطهير نفسه وماله، والفوز بالجنة.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

هذه الآية عني بها جل جلاله أوصياء اليتامى أن يعطوهم ما لهم إذا بلغوا الحلم وأنس منهم الرشد وعدم أخذ الجيد من أموالهم وإعطائهم مكانه الرديء^(٥).

يقول الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم^(٦).

قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: «كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء»^(٧).

وقد عبر سبحانه وتعالى عن الحلال والحرام بالخبيث والطيب في هذه الآية للتفريق من أكل أموال اليتامى والترغيب فيما

فعن أبي هريرة قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن حلال أم من حرام)^(١).

والآية الكريمة تحثنا على ألا نقصد الخبيث الرديء من أموالنا لننفق منه، فإله أغنى عنه منا، فلا نجعل لله ما نكره، وأن يكون الإنفاق بأفضل الموجود، فلا يكون بالدون والرديء الذي تعافه النفوس، والله غني عن الخبيث الذي يخرج ضعیف الإيمان واليقين، حميد يحمده الطيب الذي يخرج الإنسان، ويجزي به عليه جزاء الراضي الشاكر، وهو الذي أعطاه إياه^(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصديق برذالة المال ودنيه -وهو خبيثه- فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»^(٣).

وقيل: المقصود من الآية: عدم العدول عن المال الحلال، وقصد الحرام، فتجعل النفقة منه^(٤).

والمتفقون على قسمين:

الأول: هناك من ينفق ماله رياء لا يبتغي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من لم يبالي من حيث كسب المال، ٥٥/٣، رقم ٢٠٥٩.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٣١٠.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٦٩٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٢/ ١٢١٥.

(٦) انظر: جامع البيان ٧/ ٥٢٥.

(٧) معالم التنزيل، البغوي ١/ ٥٦٢.

رزقهم الله من الكسب الحلال بالاكتفاء به وعدم التشوف إلى مال اليتيم فإنه ظلم وسحت^(١).

واستبدال بالخبيث الطيب ليس فقط في الأموال، فهناك الكثير من الناس من أبدل أطيب الكلام وهو القرآن الكريم، بالخبيث من الأغاني وما تحويه من كلمات هابطة تخدش الحياء، واستبدلوا قراءة كتاب الله جل جلاله وأكبوا على الجرائد والمجلات والكتب الخليعات، التي تعمل على دمار المجتمع المسلم.

ثانياً: الخبث في الأعمال:

ليس من الحكمة والعدل التسوية بين الجيد والرديء من الأشياء والأعمال، فلا يتساوى الضار والنافع ولا الفاسد والصالح، ولا الحرام والحلال، ولا الظالم والعاقل، فلكل منها حكم يليق به عند الله جل جلاله الذي يضع كل شيء في موضعه بحسب علمه^(٢)، كما قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُهُمْ وَمَا هُمْ بِسَاءِ مَا

يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]،

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَذَكَّرُ أَلَّا تُكَلَّبَ ثَفُلًا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٠].

عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر والطعن في الأنساب، ألا إن الخمر لعن شاربها وعاصرها وساقيتها وبائعها وأكل ثمنها)، فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي، فاعتقت من بيع الخمر مالاً، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أنفقت في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة، إن الله لا يقبل إلا الطيب)، فأنزل الله تعالى تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَذَكَّرُ أَلَّا تُكَلَّبَ ثَفُلًا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٠]^(٣).

إن مما ترضيه الفطرة السليمة وتدركه العقول المستقيمة، أن الخير والشر لا يستويان، وأن الخبيث والطيب لا يتساويان، ومن غير المعقول أن تكون الأعمال الطيبة مساوية للأعمال الخبيثة ومعاملة أهل

(١) انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني ١/ ٤٢٢.

(٢) انظر: تفسير المراغي ٧/ ٣٨.

(٣) أسباب النزول، الواحدي، ص ٢١٠.

الكفر فهي شجرة خبيثة المأكّل والمطعم، كشجرة الحنظل ونحوها، لا عروق تمسكها، ولا ثمرة طيبة تؤكل منها ولا رائحة زكية تشم منها، وكذلك كلمة الكفر والمعاصي ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث، وعمل خبيث، يضر صاحبه ولا ينفعه، ولا يصعد إلى الله منه عمل صالح^(٢).

ويقول الألوسي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «وجه تشبيه الكلمة الطيبة بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله بهذه الشجرة المنعوتة بما ذكر أن أصل تلك الكلمة ومنشأها وهو الإيمان ثابت في قلوب المؤمنين وما يتفرع منها وينبني عليها من الأعمال الصالحة والأفعال الزكية يصعد إلى السماء، وما يترتب على ذلك من ثواب الله تعالى ورضاه هو الثمرة التي تؤتيها كل حين، ويقال نحو هذا على تقدير أن تكون الكلمة بمعنى آخر فتأمل»^(٣).

إن الكلمة الطيبة والعمل الطيب والدعوة إلى الله عز وجل كالشجرة الطيبة ثابتة ومثمرة ثابتة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل مهما اشتدت وتكالت، ومهما رأينا واقعاً مريئاً من الظلم والطغيان والتأمر الخبيث على الدعوة الإسلامية التي هي

(٢) انظر: موسوعة فقه القلوب، التويجري

١٣١٦/٢.

(٣) روح المعاني ٧/ ٢٠٢.

الخبيث كمعاملة أهل الطيب، فهذه قوانين عادلة في تسيير هذا الكون، فإنه لا بد من عقاب المسيء، وثواب المحسن، فلا مساواة بين الخير والشر، والله يعاقب على الشر، ويثيب على الخير، ولازم هذه النتيجة أن يحذر الناس فيرجوا ثواب الله عز وجل ويخافوا عقابه^(١).

والشجر مثله مثل الناس، ينقسم إلى صنفين: إلى طيب وإلى خبيث، وقد ضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، وضرب الله مثلاً للكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

إن شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن علماً واعتقاداً، وفرعها من الكلام الطيب، والعمل الصالح، والأخلاق الحسنة، والأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان، هي ما ينتفع به المؤمن، وينفع غيره به في الدنيا والآخرة، وأما شجرة

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة

٢٣٦٨/٥.

﴿الْخَسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦ - ٣٧].

ففي هذه الآية يقول الطبري رحمه الله: إن الله عز وجل يحشر الذين كفروا بربهم، وينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله، إلى جهنم، ليفرق بينهم وهم أهل «الخبث» وبين المؤمنين بالله وبرسوله، وهم «الطيبون»، فميز الله سبحانه وتعالى بينهم بأن أسكن الطيبين من المؤمنين جناته، وأنزل أهل الكفر ناره^(٢).

إذن فالتناس هنا في الإنفاق على نوعين: ﴿هناك من ينفق أموالاً طائلة في الصد عن سبيل الله ولإغراق العالم الإسلامي في اللهو والغناء والفسق والفجور.

﴿وهناك من ينفق أمواله في الحق والجهد وفي الحركة للقضاء على الباطل وأهله.

فبهذا الاحتكاك المرير، تنكشف الطبائع، ويتميز الحق من الباطل، كما يتميز أهل الحق من أهل الباطل^(٣).

وفي سياق هذه الآية يجدد كتاب الله مرة أخرى بيان الحكمة الإلهية في ابتلاء المؤمنين وتمحيصهم بالنكبات والتضحيات، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

أطيب دعوة للحق والخير ونعيم الدنيا والآخرة، وإن خيل للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان، فهي تظل كالشجرة العالية الثابتة تبقى متعالية، تطل على الشر والظلم والطغيان من عل.

وإن الدعوة الخبيثة وأعمالها من دعوات التحرر من الدين وقيوده -كما يدعون- كالشجرة الخبيثة قد تهيج وتتعالى وتشابك ويخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى، ولكنها في الحقيقة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة تقتلع من أبسط هبة ريح، فلا يبقى لها أثر^(١).

ثالثاً: الخبث في الناس:

لقد خلق الله عز وجل عباده على الفطرة السليمة التي ارتضاها لهم، ولكن فطرة البشر شابها ما شابها من عوالق الكفر الشر والخبث، فكان هناك المؤمن والكافر الطيب والخبث وما جعلت الجنة والنار إلا لتفرق بينهما فهم ليسوا سواء، فميز الله الكافر والخبث المستحق للعقاب، ويفرقه ويعزله عن المؤمن الطيب المستحق للثواب.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ

(٢) انظر: جامع البيان ١٣ / ٥٣٤.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٣ / ١٥٠٧.

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٤ / ٢٠٩٨.

التي كانت تعمل الخبائث من إتيان الذكران في أدبارهم، وخذفهم الناس، وتضارطهم في أنديتهم، مع أشياء آخر كانوا يعملونها من المنكر، فعاقبهم الله عز وجل بالعذاب الشديد في الدنيا قبل الآخرة، وأكرم الله عز وجل لوطاً عليه السلام في الدنيا بإنقاذه من أهل السوء وأعمالهم، وفي الآخرة بالجنة^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿لَخَبِيثَاتٍ اللَّيْئِلاتِ الْخَبِيثَاتِ وَالْخَبِيثُونَ اللَّيْئِينَ وَالْطَّيِّبَاتِ وَالطَّيِّبُونَ الْأَنْبِيَاءُ الْأَمْثِلُ الَّذِينَ يُقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

يشير جل جلاله إلى مبدأ هام من مبادئ الحياة الاجتماعية، وهو أن النفوس الخبيثة لا تلتئم إلا مع النفوس الخبيثة من مثلها، والنفوس الطيبة لا تمتزج إلا بالنفوس الطيبة من مثلها، فالله عز وجل جعل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء.

وهذه الآية نزلت في حادثة الإفك حين اتهموا السيدة عائشة رضي الله عنها بالفحش، والمعنى ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهي طيبة؛ لأنه أطيب من كل طيب من

ففي مثل هذه الوقائع والمواقف الصعبة ترفع الحجب وتهتك الأستار عن الخبيث من الناس.

قال مجاهد: «ميز بينهم يوم أحد»، وقال قتادة: «ميز بينهم بالهجرة والجهاد»^(١).

واختلف المفسرون؛ من المخاطب بالآية على أقوال: قيل: الخطاب للمؤمنين والمنافقين، وقيل: الخطاب للمشركين والمراد بالمؤمنين، وقيل: الخطاب للمؤمنين، والخطاب عند جمهور المفسرين للكفار والمنافقين، أي: ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب، قاله ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي^(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ طَاءَ آيَتُنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَيَّنَّا مِنْ آيَاتِنَا لَأَنَّ كَانَتْ تَعْمَلُ لَفَبَّيْتُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَسَقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

لقد من الله جل جلاله على سيدنا لوط عليه السلام بأن آتاه الله سبحانه وتعالى الحكمة في فصل القضاء بين الخصوم، وكذلك علماً بأمر دينه، وما يجب عليه لله من فرائضه.

وكان الله عز وجل قد بعثه لقرية اسمها سدوم، وكان أهلها خبيثاء يعملون الخبائث، فنجاه الله من عذابه الذي أحله بأهل القرية

(١) انظر: فتح البيان، القنوجي ٢ / ٣٨٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤ / ٢٨٨، فتح القدير، الشوكاني ١ / ٤٦٣.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨ / ٤٧٢.

البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له، لا شرعاً ولا قدرًا، فكل طيب له ما يوافقه وكل خبيث له ما يوافقه^(١).

ومن منطلق هذه الآية فقد اشترط الفقهاء التكافؤ بين الأزواج، والمقصود أن يكون الزوجان متقاربين في كل شيء تقريبًا، والكفاءة تكون أيضًا في الطيبة أو الخبث، فلا يأتي واحد بامرأة خبيثة ويزوجها لرجل طيب كي لا تتعبه، ولا يأتي واحد برجل خبيث ويزوجه بامرأة طيبة كي لا يتعبها؛ لأن الطيب عندما يتزوج طيبة تريحه وتقدره، وكذلك الخبيث عندما يتزوج خبيثة فإنهما يتوافقان في الطباع والسلوك، وفي هذا توازن، والخبيث إن لم يخجل من الفضيحة، فالخبيثة لا تخجل منها أيضًا، أما الطيب والطيبة فكلاهما يخشى على مشاعر الآخر ويحافظ على كرامته^(٢).

رابعًا: الخبث في الأماكن:

وكما أن الخبث في الناس والأموال والأعمال فهناك أيضًا خبث في الأماكن.

قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيُؤْذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْدِي لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

[الأعراف: ٥٨].

والمقصود في هذه الآية الأرض الطيبة

والتربة السهلة السمحة الكريمة، التربة التي يخرج نباتها إذا أصابها المطر بإذن الله سبحانه وتعالى فتخرج نباتًا حسنًا غزير النفع، والبلد الذي خبث أرضه فهي سبخة لا تنتفع بالمطر لا يخرج نباته إلا عسرًا بمشقة وكلفة^(٣).

قال ابن عباس رضي الله عنه: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن يقول: هو طيب وعمله طيب، كما أن البلد الطيب ثمره طيب، ثم ضرب مثل للكافر كالبلدة السبخة المالحة التي خرجت منها البركة، فالكافر خبيث وعمله خبيث»^(٤).

ويقول العز بن عبد السلام رحمه الله في تفسيره: قال بعض أرباب القلوب: الذي خبث من القلوب لا يخرج إلا نكدًا بالكفر والمعاصي، والجمهور على أنه من بلاد الأرض الطيب التربة والرخيص السعر، أو الكثير من العلماء، أو العادل سلطانه، وضرب الله سبحانه وتعالى الأرض الخبيثة مثلاً للكافر، الذي خبث في تربته، أو بغلاء أسعاره، أو بجور سلطانه، أو قلة علمائه فلا ينتفع به، لشدة تعسره فلا خير فيه^(٥).

ومن الأماكن الخبيثة والتي تحب الشياطين المكث فيها:

❖ البيوت الخربة التي لا يذكر الله عز

(٣) انظر: لباب التأويل، الخازن ٢ / ٢١٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: تفسير القرآن ١ / ٤٨٧.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦ / ٣٤.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي ٥ / ٢٦٨٣.

للفسوق والفجور من الملاهي الليلية وأماكن الرقص وشرب الخمر ولعب الميسر هي أماكن خبيثة.

❁ أماكن قضاء الحاجة، ولما كانت الشياطين خبيثة فإنها تألف مثل هذه الأماكن الخبيثة، قال تعالى: ﴿لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النور: ٢٦]. ولذلك تحضر الشياطين الأماكن التي يقضي فيها الإنسان حاجته، وتريد إتباع الأذية والضرر به.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: (اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)^(٣).

وفائدة هذه الاستعاذة: الالتجاء إلى الله عز وجل من الخبث والخبائث؛ لأن مثل هذه الأماكن خبيثة، والخبث مأوى الخبثاء فهو مأوى للشياطين، فإذا أراد الشخص دخول الخلاء قال: (أعوذ بالله من الخبث والخبائث) حتى لا يصيبه الخبث وهو الشر، ولا الخبائث وهي النفوس الشريرة^(٤).

خامساً: الخبث في الأطعمة والمشروبات:

لقد أحل القرآن الكريم أصنافاً من

وجل فيها، ولا تتلى فيها آياته، ولا تقام فيها الصلوات، ويعصى الله فيها جهازاً نهائياً، فيكون أصحابها كالأموات، وقد أوصانا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قائلاً: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)^(١). والمؤمن إذا رجع لبيته وذكر اسم الله وسلم على أهله، حضرت الملائكة وتنحى الشيطان، وأما المفطر إذا دخل بيته ولم يذكر الله وغنى وطرب، فقد آوى إلى بيته الخبث كله من الشياطين، وأصبح هذا المكان خبيثاً، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء، وإذا دخل، فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء)^(٢). وكل مكان يجتمع فيه شياطين الإنس والجن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، ٥٣٩/١، رقم ٧٨٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الاشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ١٥٩٨/٣، رقم ٢٠١٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، ٤٠/١، رقم ١٤٢.

(٤) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ابن عثيمين ١/ ١٠٥.

وَالنَّطِيعَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴿المائدة: ٣﴾.

أحل الله الطَّيِّبات النافعة غير المحرّمات العشر المستخبثات وهي:

الميتة: وهي ما مات من الحيوان حتف أنفه، من غير ذبح ولا اصطيد، ما عدا ميتة السمك والجراد

الدّم: وهو الدّم المسفوح السائل، لا الجامد كالكدب والطحال.

لحم الخنزير وشحمه وجلده وعظمه: وتحريمه لأنه حيوان قذر لا يأكل إلا القاذورات والفضلات العفنة.

ما ذبح وذكر عليه اسم غير الله عز وجل. المنخنة: وهي التي تموت خنقاً، وهو حبس النّفس في الحلقوم، فهي نوع من الميتة.

الموقوذة: وهي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد كالعصا أو الحجر أو الحصاة حتى تموت بلا ذكاة شرعية.

المرتدية: هي ما سقطت من مكان عال كجبل أو سطح، أو الهاوية في بئر.

النّطيحة: وهي التي نطحتها بهيمة أخرى، فماتت، وهي حرام كالميتة.

ما أكل السبع: وهي التي افترسها حيوان كالذئب والتمر والسبع، فتموت، فلا تؤكل لأنها ميتة، وتأنفها الطّباع.

الأطعمة والأشربة ووصفها بالطيبة، كما حرم أصنافاً أخرى ووصفها بالخبث، وقد أثبت العلم الحديث أن كل الأطعمة والأشربة التي أحلها القرآن الكريم، واعتبرها رزقاً طيباً، مفيدة للإنسان جسداً وروحاً، وأن الأطعمة التي حرمها مضرّة للإنسان جسداً وروحاً كذلك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٢-١٧٣].

فالله جل جلاله أمرنا بأكل الحلال الطيب الذي تستطيه النفس من حلال الرزق الذي أحله الله لنا، وشكره والثناء عليه على النعم التي أنعم بها علينا منقادين لأمره سامعين مطيعين، فلا نحرم ما أحل الله ولا نحلل ما حرم عز وجل، وقد كان الناس في الجاهلية يحرمون بعض المطاعم طاعة منهم للشيطان، واتباعاً لأهل الكفر بالله من الآباء والأسلاف. (١)

ثم بين لهم سبحانه وتعالى ما حرم عليهم، وفصله لهم، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمَ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٣/ ٣١٧.

وجلالها^(٣).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَذْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

الخمر هو المتخذ من ماء العنب النبيء، وتشمل كل شراب مسكر خامر العقل وغطاءه، ووصف الله عز وجل هذا النوع من المشروبات بالرجس، ويقال للنتن والعذرة والأقذار: رجس، يحمله الشيطان ويزينه للعباد؛ لتضليلهم وجرحهم إلى ما حرم سبحانه وتعالى، فأمرنا باجتنابه وإبعاده وجعله في منأى عنا، واقتربت صيغة الأمر مع نصوص الأحاديث وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في جهة التحريم، فبهذا حرمت الخمر، وقد مرّ تحريم الخمر للترويض وبالتدريج في مراحل أربع، ولا خلاف بين علماء المسلمين أن هذه الآية نزلت بتحريم الخمر بشكل قاطع^(٤).

وهذه الآية جمعت أسباب تحريم الخمر وكذلك الميسر والأزلام وهي:

- ❖ وصفت بكونها رجساً، أي: قذراً، حساً ومعنى، عقلاً وشرعاً.
- ❖ أنها من عمل الشيطان وذلك غاية القبح.

❖ أمر الله سبحانه وتعالى باجتنابها،

ما ذبح على النصب: أي الحجارة التي كانت حول الكعبة لا يؤكل؛ لأنه مما ذكر اسم غير الله عليه^(١).

فهذه الأطعمة خبيثة محرمة لا يجوز للمؤمن أكلها إلا إذا كان مضطراً لذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لَيْعٍ لَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٤-١١٥].

قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

من رحمات الله عز وجل بعباده الرحمة التي وعد في إحلال الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم، ويحرم عليهم الخبائث كالدّم ولحم الخنزير والربا والرشوة، ويخفف عنهم ما كلفوه من التكالييف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حيث^(٢).

فثبت أن الله جل جلاله أحل ما هو طيب في نفسه قبل الحل، فكساه بإحلاله طيباً آخر، فصار منشأ طيبه من الوجهين معاً فعند تأمل هذا الموضع حق التأمل نجد أسرار الشريعة، ونرى محاسنها وكمالها وبهجتها

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٢/ ١٠.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٣/ ٢٧٩.

(٣) انظر: التفسير القيم، ابن القيم، ص ٢٨٩.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٦/ ٢٨٧.

بين الطيب والخبيث

اقتضت حكمة الله جل جلاله البالغة أن لا يجعل أمر هذا الدّين إلا في أيدي صفوته من عباده، وأمر هذا الدّين هو أخذه بحقه، ولو كره الكافرون.

وحَتَّى يكون هذا كان لا بدّ من سنة ربّانية لا تتخلّف، وهي سنة التمييز والتمايز، فالله سبحانه وتعالى هو العليم بعباده وما في قلوبهم، هو الخبير بمن خلق، ولكن تحقّق سنة التمايز التي لا تظهر للناس إلا في حال الابتلاء والمحن، فيظهر وقتها المعدن الحقيقي للأشياء من حولنا.

أولاً: تمييز الخبيث من الطيب:

لا بد أن يعقد الله سبباً من المحنة، يظهر فيه وليه، ويفتضح فيه عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

يقول الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: إن الله ما كان ليدع المؤمنين على ما هم من التباس المؤمن منهم بالمنافق، فلا يعرف هذا المنافق المستتر بالكفر من المؤمن المخلص الصادق الإيمان إلا بالمحن والاختبار، كما ميز بينهم يوم أحد، عند لقاء العدو عند خروجهم إليهم يوم أحد،

والأمر بالاجتناب أشدّ تنفيراً من مجرد النهي عنها أو القول بأنها حرام، فهو يفيد الحرمة وزيادة وهو التنفير.

❁ جعل الله جل جلاله اجتنابها سبباً للفرح والفوز والنجاة في الآخرة^(١).

(١) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي ١/ ٤٩٦.

عمران: ١٦٦ - ١٦٧].

ففي هذ الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، ومواساة لهم فيما أصابهم، فالمؤمن يرضى ويسلم بما قضاه الله وقدره.

فهذا البلاء من القتل والجرح والهزيمة ما كان إلا ليظهر المؤمن الصادق من غيره بثبوتهم في القتال والصد في سبيل الله، وليميز الله الخييث من الطيب فأظهر الحق سبحانه الغير الصادقين في الإيمان، وذلك بإظهارهم الشماتة، فقد كشفهم الله في هذه الموقعة، وميز الصف الإسلامي منهم وقرر حقيقة موقفهم يومذاك، فقال الحق سبحانه: ﴿هُم لِّلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِّلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧] (٣).

فأصبح من الواضح أن من لوازم التمايز في الجماعة الابتلاء، فإن التمايز هنا تحقيق لسنة الخالق استخراجاً للخييث من بين الطيب لينبذه لتعود الصحة والعافية للجماعة على وجه أفضل وأسلم مما كانت عليه. وهنا وقف المسلمون موقفاً عظيماً تشيب من هوله الولدان، وتتحطم فيه الرجولة الزائفة وينكشف عوارها، كان موقفاً لا يصمد فيه إلا من أخلص لله وباع نفسه فيه لله.

فبالمحن والابتلاء ظهر المؤمنون بإيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله وظهر المنافقون بمخالفتهم ونكوثهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله (١).

إن هناك الطيب من الأفعال وخبثها، ومن البشر كذلك قد يكون ظاهراً وقد يكون مستتراً، وليس من سنة الله في أرضه أن تكون ظاهر الأعمال في كل الأحوال محل تسمية على الناس، فلا يستطيعون معها التفريق بين مؤمن ومنافق وبين طائع وعاصي (٢).

فالله يمحص ويبتلي عباده لتكون راية الحق خفاقة بأيدي طاهرة نقية ولا يصل إلى ذلك المبتغى إلا من نقاهم الله سبحانه من الخبث وتوطدت نفوسهم على الطيب فقط، وصدق ذلك كله أفعالهم ومواقفهم في عسرهم ويسرهم، في راحتهم كما في أزمانهم، في صغائر أمورهم وعظائمها.

ومعنى التمييز هو التفريق بين المتشابهات في بعض المظاهر ولكنها مختلفة في الحقيقة، فقد يكون الحق متلبساً بالباطل والعكس صحيح، فيأتي الابتلاء والتمحيص مرة أخرى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَإِذْنُ اللَّهِ وَلَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَيَعْلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [آل

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٦٥ / ٤.

(١) انظر: جامع البيان ٧ / ٤٢٤.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٧٣ / ٢.

يصف الله سبحانه وتعالى ذاك الموقف العظيم في كتابه العظيم فيقول: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۚ﴾ (١٠) هَذَا الَّذِي آتَيْنَا الْمُؤْمِنِينَ وَزَلَّزَلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ (١٢) [الأحزاب: ١٠ - ١٢].

لقد اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين وبين الله موقف المنافقين وتربصهم الدوائر بالمسلمين، وانتحالهم الأعداء، واختلاق المبررات للتراجع والفرار، في انتظار النتيجة التي يتوقعون أن تكون على المسلمين لا لهم، فابتلي المؤمنون بهذه الفتنة العظيمة بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، وهنالك تبين نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يضمرون، هذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه، وينظر بعقله القاصر (١).

فهو امتحان عظيم، وابتلاء عز نظيره، غير أنه سنة من رب العباد ليصقي من خلاله أهل دينه من كل خبيث وخبث، وليحصل التمييز عند المسلمين وعند الناس بين عباد الله الذين استقاموا على أمره، وبين من كان

ثبوتهم على أمر الله مجرد زعم وادعاء لم يجاوز حلاقيهم فيفضحهم الله عز وجل في كتابه العزيز بقولهم: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

وموقفهم هذا فيه ما فيه من الخبث الكامن في نفوسهم، وتخذيل المسلمين في هذا الموقف الحرج العصيب، غير أن حالهم هذا لم يكن له أثر في قلوب آمنت بربها، فقال عنهم رب العالمين على لسانهم: ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢] (٢).

لقد كثرت الفتن، وذلك لكثرة مدعي الإيمان المنطوين تحت لواء الإسلام، وهم كغناء السيل في الكثرة ولكنهم قلة في نصرة دينه وإعلاء كلمته والجهاد في مرضاته، فيأبى الله إلا أن يظهر الحقائق ويبتلي السرائر ويميز الخبيث من الطيب.

قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

قال ابن عباس رضي الله عنه وغيره: المراد: قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم بسبب إسلامهم، كسلمة بن هشام وعياش بن أبي

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٦٦٠.

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٢٣٩/٢.

الآثام، وليحمل أثقل الأوزار، ولينال أشد العذاب باستحقاق! ويتلى الحق، ليميز الخبيث من الطيب، ويعظم الأجر لمن يمضي مع الابتلاء ويثبت، فهو الكسب للحق والخسار للباطل، مضاعفًا هذا وذاك! هنا وهناك! (٣).

ثانيًا: الخلط بين الخبيث والطيب:

إن الطيب والخبيث وإن كانا في بعض الأوقات غير معروفين وغير ظاهرين، ولكن في الكثير من الأوقات يكون أحدهما معروفًا يمكن التمييز بينهما، فالحرام بين والحلال بين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه) (٤).

في الحديث دلالة على أن الأشياء من حيث الحكم ثلاثة أقسام:

١. حلال خالص لا شبهة فيه، كالملابس والمطاعم والمراكب المباحة.
٢. حرام خالص لا شبهة فيه، كشرب الخمر والزنا وأكل مال اليتيم

ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وياسر أبوه وسمية أمه وعدة من بني مخزوم وغيرهم، فكانت صدورهم تضيق لذلك، وربما استكروا أن يمكن الله الكفار من المؤمنين (١).

قال مجاهد رحمه الله وغيره: نزلت هذه الآية مسلية ومعلمة لهم أن هذه هي سيرة الله في عباده اختبارًا وتمحيصًا للمؤمنين (٢).

فسنة الله في أي دعوة صادقة خالصة أن يتعرض أصحابها للمحن والابتلاءات لكي تنقى من خبثها ولا يبقى فيها إلا الطيب، إن هذا شأن السالكين إلى الله في كل زمان ومكان فلا بد في هذا الطريق أن يصقله الابتلاء وأن تظهر معدنه المحنة.

وعن هذا يقول سيد قطب رحمه الله: «إن ذهاب الباطل ناجيًا في معركة من المعارك وبقاءه منتفشًا فترة من الزمان، ليس معناه أن الله تاركه، أو أنه من القوة بحيث لا يغلب، أو بحيث يضر الحق ضررًا باقياً قاضياً، وإن ذهاب الحق مبتلى في معركة من المعارك، وبقاءه ضعيف الحول فترة من الزمان، ليس معناه أن الله مجافيه أو ناسيه! أو أنه متروك للباطل يقتله ويرديه، كلا إنما هي حكمة وتدبير هنا وهناك يملي للباطل ليمضي إلى نهاية الطريق وليرتكب أبشع

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٢٣/١٣.

(٢) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة ٤/ ٢٨٦.

(٣) في ظلال القرآن ١/ ٥٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ١/ ٢٠، رقم ٥٢.

قال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرِفُوا يَذْنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

لقد كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع طبقات: الأولى: المؤمنون من الأنصار والمهاجرين الذين أخلصوا لله عز وجل. الثانية: الكفار الذين أبوا إلا الكفر والعناد.

الثالثة: المنافقون الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر والحقد على المسلمين. الرابعة: وآخرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولم يتم انطباعهم بالطابع الإسلامي ولم يصهرها في بوتقة الإسلام تماماً.

وتقرر الآية الكريمة كيفية التعامل في المجتمع المسلم، وتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلص من المسلمين إلى طريقة التعامل مع كل منهم^(٤). وتبين الآيات أن الأشقياء نوعان: كفار ومنافقون.

فذكر الكفار بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩].

وذكر المنافقين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ

ونحوها مما نص الشرع على تحريمه. ٣. مشبه بين الحلال والحرام، كالمعاملات والمطاعم التي يتردد الناس في حكمها ويختلط الأمر عليهم.

وقد نهانا الله عن استبدال وخلط أموال اليتامى، فقال تعالى: ﴿وَأَنزِلُوا إِلَيْنَا أَمْوَالَكُمْ وَلَا تَبْدُلُوا الْخَيْثَ بِالْخَيْثِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

فقد كانوا في الجاهلية لعدم الدين لا يخرجون عن أموال اليتامى، فيأخذون أموال اليتامى ويبدلونها بأموالهم، ويقولون: اسم باسم ورأس برأس، مثل أن يكون لليتم مائة شاة جياذ فيبدلونها بمائة شاة هزلى لهم، ويقولون: مائة بمائة؛ فنهاهم الله عنها^(١).

فالآية الكريمة تحذر من جمع وضم وخلط أموال اليتامى مع أموال الوصي عليهم، وعدم استبدال الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالهم الخاص فيأكلوها جميعاً فهذا ذنبٌ عظيم، فإن اليتيم بحاجة إلى رعاية وحماية؛ لأنه ضعيف، وظلم الضعيف ذنب عظيم عند الله^(٢).

قال سعيد بن جبير: «لا تبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم، يقول: لا تبذروا أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام»^(٣).

(١) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي ١/ ٤٠٣.

(٢) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني ١/ ٢٣٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٠٧.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١٥٦٨.

لَهُمْ نَصِيرًا ﴿النساء: ١٤٥﴾.

الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن الرديء منها^(٣).

فهذه الآية خطاب الله عز وجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أمراً له أن ينبه الناس إلى أن الخييث والطيب لا يستويان عند الله في شيء، فالخير والشر لا يستويان، فلا يمكن أن يكون معاملة أهل الخييث كمعاملة أهل الطيب، فهذا ما لا ترتضيه الفطرة السليمة وتدركه العقول المستقيمة، ويلفت نظر الإنسان أيًا كان وحيثما كان، ومجرد الاستلذاذ بالخييث والإعجاب به لا يقف في وجه هذه الحقيقة الناصعة.

فقد يكون الخييث جذاباً وبراقاً ومثيراً، ولكنه في جوهره خبيث، وفي أثره خبيث، ولن يقف الخييث مع الطيب على قدم المساواة بأي وجه من الوجوه.

وقد يكون الطيب قليلاً غير براق أو مثيراً، وأقل وزناً وحظاً في الدنيا من الخييث، فالطيب أوزن منه في الآخرة.

وإن كان مأل الطيب إلى الجنة، فإن مأل الخييث إلى النار.

وإذا كان منفق المال الخييث يعتبر إنفاقه هباءً منثوراً، فمنفق المال الطيب يظل إنفاقه ثابتاً، هذا إلى ما يترتب على تناول كل من الطيب والخييث، وعلى ممارسة كل من

أما المخلط فليس من الكفار الذين قطع لهم بالعذاب، ولكنه بين الجنة والنار، واقف بين الوعد والوعيد، كل منهما يدعو إلى موجبه، لأنه أتى بسببه، فعسى الله أن يتوب عليهم^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنه عن هذه الآية: هي في الأعراب، وهي عامة في الأمة إلى يوم القيامة فيمن له أعمال صالحة وسيئة، فهي آية ترج على هذا^(٢).

فقد يخلط المرء بين الحرام والحلال وبين الصالح والطالح وبين الخييث والطيب، ولكن ما يلبث الحق أن ينير بصيرة المؤمن ويوجهه إلى الصواب إلى ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: نفي المساواة بين الخييث والطيب:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَكُونُ لَكُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٠].

هذه الآية حكم عام في نفي المساواة عند الله عز وجل بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها، قصد به

(١) انظر: موسوعة فقه القلوب، التوجيهي ١٢٢٤/٢.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ٧٧.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٨٣/٣.

الطيبات والخبائث، من الآثار النفسية والأخلاقية، الفردية والاجتماعية، مما يجعل سلوك الطيبين رحمة لهم وللناس، وسلوك الخبيثين نقمة عليهم قبل أن يكون على بقية الناس، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً^(١).

ولذا عقب عز وجل بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوِي إِلَيْكَ الْأَلْبَابُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، وذلك بجعل أنفسنا وقاية من عقاب الله، فهو خطاب لأصحاب العقول السليمة، بفعل الطيب من الأعمال وترك خبيثها؛ للفوز برضوان الله، والنجاة من غضبه وعقابه.

فمن حكمة الله سبحانه وتعالى أن خلق المتضادات في هذه الحياة ليتم الابتلاء والامتحان للعباد، وهذا يشمل الخبيث من الأشخاص، والخبيث من الأقوال، والخبيث من الأموال، والخبيث من المآكل والمشارب، فلا يستوي الخبيث والطيب من هذه الأشياء ولا من غيرها على الإطلاق.

فلا يستوي الخبيث والطيب من الأشخاص، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢٣٦٨/٥.

ثم بين الله عز وجل مصير كل من المؤمن والفاسق، قال تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٩ - ٢٠].

وليس من يعمل الصالحات كمن يمشي فساداً في الأرض، قال تعالى: ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦].

كما لا يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

لا يستوي الخبيث والطيب من الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤].

كذلك لا يستوي الخبيث والطيب من الأقوال، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٦﴾ تُوْتِي أَكْثَرَهَا

الاختار بكثرة الخبيث

لا يعني كثرة الشيء أنه هو الجيد دوماً وهو المطلوب، فقد ذم القرآن الكريم الكثرة في كثير من آياته وامتنح القلة، وهذه بعض الأمثلة على ذم الكثير وعدم اعتباره:

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَهُ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٧١].

وقال تعالى: ﴿أَوْ كَلِمَا عَنْهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١].

كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

ولا يستوي الخبيث والطيب من الأطعمة والأشربة، فقد أحل الله الطيبات وحرم الخبائث، قال الله تعالى في وصف رسوله عليه السلام: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

ولا يمكن أن يستوي الإنسان الذي يعمل بالمبادئ الأخلاقية والذي لا يعمل بها، ولا يستوي الذي يعمل الخير والذي يعمل الشر، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَاجِرَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٣-١٤].

إن الإنسان الذي يعمل بمقتضى القيم الأخلاقية لا تزيد قيمته ودرجته وجزاؤه عند الله فحسب، بل تزيد قيمته الإنسانية بين الناس فيكون له الشرف والمكانة الأدبية في المجتمع، فيجد القبول والاهتمام به والمودة والتقدير من الناس، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

كما امتدح الله عز وجل القلة في كثير من الأشياء:

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [النساء: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَذَكَّرُ أَلَّا تَكُونُوا مِنَ الْخَالِفِينَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

يقول الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «ودلت هذه الآية على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا تدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير الحق، بل الواقع

بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وأجراً»^(١).

وإذا كانت كثرة الخبيث تغر وتعجب ففي الطيب متاع بلا معقبات من ندم أو تلف، وبلا عراقيل من ألم أو مرض، وما في الخبيث من لذة إلا وفي الطيب مثلها، بل أحسن منها على اعتدال وأمن من العاقبة في الدنيا والآخرة.

ولو أثار أنفسنا وأعجبنا واسترعى أنظارنا كون الخبيث كثيراً، إن الشر مهما يكثر لا يمكن أن يستحسن شرعاً أو ترضى به الأخلاق، ولا يمكن أن ينقلب بالكثرة مساوياً للخير بل إنه كلما كثر، وجبت مقاومته، بشدة وبمقدار كثرته، تكون شدة المقاومة، وذلك فرق ما بين شريعة الله سبحانه وتعالى وقوانين العباد، فإن قوانين العباد، تستمد قوتها من الكثرة، وعرف الناس، ولو كان فاسداً، أما شريعة الله، فهي للخير المحض، وإذا كثر الشر لا تتبعه، بل تقاومه، ولا ترضى به، لأنها جاءت لنشر الخير، والعقل حين يتخلص من الهوى بمخالطة التقوى له ورقاقة القلب له، يختار الطيب على الخبيث فينتهي الأمر إلى الفلاح في الدنيا والآخرة ولا يمكن أن ترضى، وإلا ما كانت رسالات الرسل، ولا جهاد الأنبياء والصديقين والشهداء الصالحين، ولذلك

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧٠.

يجوز الاغترار بالخبيث ولو كثر وعم، وفي هذا تثبيت للمؤمنين على ما ابتلوا به من كثرة الخبائث وانتشارها وسطوة أهله وتجبيرهم. فمهما يكثر الخبيث وينتشر صيته فيبقى خبيثاً غير مستساغ لدى النفوس الطيبة الطاهرة، ولا تقبله الفطرة السليمة، وليس كل ما يلمع ذهباً.

ودائماً أصحاب العقول السليمة هم المخاطبون بالتوجيهات الربانية فالعقل السليم والفطرة النقية لا تتعارض مع النصوص الإلهية، وقد قال عز وجل:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَكُونِ الْآكِبَ لَكُمْ تُقْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

فمن الواجب على كل ذي لب يميز الخبيث من الطيب، ويقضي بأن الطيب خير من الخبيث، وأن من الواجب على الإنسان أن يجتهد في إسعاد حياته، ويختار الخير على الشر أن يتقي الله ربه بسلوك سبيله، ولا يغتر بانكباب الكثيرين من الناس على خبائث الأعمال ومهلكات الأخلاق والأحوال، ولا يصرفه الأهواء عن اتباع الحق بتولية أو تهويل لعله يفلح بركوب السعادة الإنسانية حتى ولو كان غريباً وسط هذه الفتن.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (طوبى للغرباء، طوبى للغرباء، طوبى للغرباء)، فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟

أمر سبحانه بمقاومة الشر مهما كثر^(١). كثيراً ما يستدل أغلب الناس ممن قل فقهه على الحق بكثرة أهله، ويظنون أن الصواب يعرف بكثرة الجمهور والأتباع لرجل ما، وقد قيل: «الرجال يعرفون بالحق لا الحق يعرف بالرجال».

يقول ابن عاشور رحمه الله عن هذه الآية: فكان الخبيث المقصود في الآية شيئاً تلبس بالكثرة، فراق في أعين الناظرين لكثرتهم، ففتح أعينهم للتأمل فيه ليعلموا خبثه ولا تعجبهم كثرته.

والمخاطب بهذه الآية غير معين بل كل من يصلح للخطاب، وليس المقصود بهذه الآية أن كل خبيث يكون كثيراً، ولا أن يكون أكثر من الطيب من جنسه، فإن طيب النمر والبر والثمار أكثر من خبيثها، وإنما المراد أن لا تعجبكم من الخبيث كثرته إذا كان كثيراً فتصرفكم عن التأمل من خبثه وتحدوكم إلى متابعتة لكثرتهم، ولكن انظروا إلى الأشياء بصفاتهما ومعانيها لا بأشكالها ومبانيها، أو كثرة الخبيث في ذلك الوقت بوفرة أهل الملل الضلالة^(٢).

فالخبيث والطيب لا يتساويان في ميزان العدل الإلهي في الدنيا وفي الآخرة، فقليل حلال طيب خير من كثير حرام ضار، لهذا لا

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٢ / ٩٨٣.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٧ / ٦٣.

قال: (ناس صالحون في ناس سوء كثير، من يعصهم أكثر ممن يطيعهم) ^(١).

تحريم الخبائث

من فضل الله علينا ومته أنه أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، لحكم عظيمة وجليلة تتضح معالمها على مر الزمان، لتثبت أن هذا القرآن من عند عليم خبير.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ فَفَصِّلِ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فالله عز وجل يمتن على عباده بما مكنهم في الأرض من حياة واستقرار، إذ جعلها مسخرة لهم، ووضعها تحت تصرفهم، وآتاهم فيها من أسباب الكسب ووسائل العيش ما يطيب معه القرار، وأحل الطيبات من المأكول والمشرب والملبس والزينة، وأنكر تحريم ذلك وجعل سبحانه وتعالى كل ذلك مباحاً، ودعا عباده إلى استعمالها والتمتع بها، فالله جل جلاله هو وحده المختص بالتحليل والتحريم، وقد أحلها ولم يحرمها ^(٢).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ^(٣) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ٦٤٤/١١، رقم ٧٠٧٢، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، ما ذكر عن نبينا صلى الله عليه وسلم في الزهد، ٨٣/٧، رقم ٣٤٣٦٨.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٧٢٨/٢، رقم ٣٩٢١.

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري ٢/ ١٠١.

العقل من الخمر للمضطر الذي لا يجد ما يسد رمقه من طعام أو شراب، وبلغ منه الجوع والعطش ما يخاف منه الموت أو المرض، وذلك بقدر ما ينقذ به نفسه، وليس له أن يأكل ويشرب حتى الشبع والتلذذ بذلك. (٣)

وفي آية أخرى يبين الله عز وجل المزيد من الخبائث المحرمة على العبد.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فُسْقٌ يَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

فزادت هذه الآية عن سابقتها عدة محرمات سبق الحديث عنها وهي:

- ❖ المنخقة.
- ❖ الموقوذة.
- ❖ المتردية.
- ❖ ما أكل منه الحيوان.
- ❖ الذبح على النصب.
- ❖ الاستقسام بالأزلام.

(٣) تفسير الإمام الشافعي ١ / ٢٤٨.

اللَّهُ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٢-١٧٣].

ويأمر الله عز وجل بالأكل من طيبات ما خلق لنا وشكره على تلك النعم التي لا تعد ولا تحصى، ويفصل بعد ذلك الحق سبحانه وتعالى ما حرم على عباده وهي:

❖ الميتة: وهي كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد.

❖ الدم: أراد به الدم الجاري يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، واستثنى من الدم الكبد والطحال فأحلها (١).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحلت لنا ميتتان ودمان، الميتتان: الحوت والجراد، والدمان، أحسبه قال: الكبد والطحال) (٢).

❖ لحم الخنزير وشحمه وعظمه.

قال الشافعي رحمه الله تعالى:

فيحلّ الله عز وجل ما حرّم من الميتة والدم ولحم الخنزير، وكلّ ما حرم مما يغير

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي ١ / ١٨٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه عنهما، ١٠ / ١٥، رقم ٥٧٢٣، وابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، ٢ / ١١٠٢، رقم ٣٣١٤. وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٨ / ١٦٤، رقم ٢٥٢٦.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بمكة عام الفتح: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس، فقال: لا، هو حرام، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوها ثمنه) (١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

لقد دلت هذه الآية بمفهومها على تحريم الخبائث، فإن الطيبات هي المحللات، فقد وصفها بالطيب، لأنها لفظة تتضمن مدحًا وتشريفًا، وعلى هذا تكون الخبائث هي المحرمات.

وعلى هذا حلل الإمام مالك المتقذرات: كالحيات والعقارب والخنافس ونحوها. ومذهب الشافعي رحمه الله أن الطيبات

هي من جهة الطعم، إلا أن اللفظة عنده ليست على عمومها، لأن عمومها بهذا الوجه من الطعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير، بل المحرمات بالشرع وفي المتقذرات، فيحرم العقارب والخنافس والوزغ وما جرى هذا المجرى يراها المختصة فيما حلله الشرع، ويرى الخبائث لفظًا عامًا في المحرمات بالشرع وفي المتقذرات (٢).

وهذا هو الراجح عندي والذي تأنس له الفطرة السليمة والنفس الطيبة حيث إن الطيبات ما تقبل به النفس، أما الحشرات والزواحف مما لا تستسيغه الطباع البشرية.

فإن ما استخبثه الناس من الحيوانات لا لعله ولا لعدم اعتياد بل لمجرد استخبثات فهو حرام، وإن استخبثه البعض دون البعض كان الاعتبار بالأكثر كحشرات الأرض وكثير من الحيوانات التي ترك الناس أكلها ولم ينهض على تحريمها دليل يخصصها، فإن تركها لا يكون في الغالب إلا لكونها مستخبثة فتندرج تحت قوله سبحانه: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾.

فقد أباح الله لعباده الطيبات، وحرم عليهم الخبائث والمضرات، ولقد كرم الله بني آدم بكرامات كثيرة، أهمها العقل؛ لكن نجد الكثير من الناس من يجني على هذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام، ٣/ ٨٤، رقم ٢٢٣٦.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٠٠/٧.

العقل بشرب الخمر والمسكرات^(١).

ولنا هنا حديث عن محرم آخر وهو الخمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

إن الله سبحانه وتعالى قد وصف الخمر بأنه رجس فعلم أن النجاسة علة لتحريم الأكل وكل نجس فإنه يحرم أكله، هذا بعد إجماع الأمة على تحريم الخبائث والنجاسات^(٢).

وإنما حرم علينا سبحانه وتعالى هذه الخبائث:

❖ لطفًا بنا، وتنزيهاً لنا عن كل خبيث لا تستطيعه النفس الكريمة.

❖ وفي تحريم هذه الأشياء حماية للمسلمين مما فيها من الميكروبات والجراثيم والمواد الضارة، التي لم يهتد الأطباء لمعرفةا إلا في عهد متأخر جدًا.

❖ وحرمت الميتة بغير تذكية شرعية، لأن الميتة خبيثة مضرّة، ولرداءتها في نفسها، ولأن الأغلب، أن تكون عن مرض، فيكون زيادة ضرر.

❖ وقد يكون التحريم لعلّة اعتقادية، لها علاقة وثيقة بالشرك والوثنية مثل ما

يذبح للأصنام.

❖ والخمر حرمت بسبب ما تفعله في العقول من دمار، فتجلب المرء كالبهيمة بل أضل سبيلاً، كما لها أضرارها على الصحة وهي كثيرة، وما فيها من ضياع للعرض والمال.

ويقاس على ذلك العديد من الأطعمة والأشربة التي حرّمها العلماء بالإجماع قياساً عما ذكره الله جلّ جلاله من تحريم المخدرات والدخان وبعض الأدوية المذهبة للعقل واعتبارها من الخبائث.

فإن الخبيث غير مستطاب، فصارت هذه الآية الكريمة نصّاً فيما يحل ويحرم من الأطعمة، فحري بنا نحن المسلمين أن نتحرى المال الطيب الحلال، والرزق السليم النافع، ونحذر أشد الحذر من الأموال الخبيثة والمكاسب المحرمة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن الحلال أم من حرام)^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً،

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾، ٥٩/٣، رقم ٢٠٨٣.

(١) انظر: الدراري المضية، الشوكاني ٢/ ٣١٨.

(٢) انظر: غرائب القرآن، النيسابوري ٣/ ١٨١.

التناسب بين الخبيثين

إن الله عز وجل خلق كل شيء بقدر ويتناسق يأخذ الأبواب، فجعل لكل شيء ما يناسبه فجعل الطيب لما يناسبه، وجعل للخبيث ما يناسبه، قال تعالى: ﴿لَخَبِيثَاتٌ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ [النور: ٢٦]، جاء في معنى هذه الآية أقوال:

الأول: إن الخبيثات من الكلم للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلم، والطيبات من الكلم للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من الكلم.

الثاني: إن معناه الخبيثات من السيئات للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من السيئات، والطيبات من الحسنات للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات.

الثالث: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء^(٢).

وبما أن سياق السورة هو سياق الحديث عن الزواني والمحصنات، وعن المؤمنين والمؤمنات، وعن الأجواء التي تتحرك

وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟^(١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ٧٠٣/٢، رقم ١٠١٥.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩ / ١٤٢.

يملكن الموصفات نفسها، وهو ما يجعل الانجذاب الروحي الذي يؤدي إلى العلاقة الشرعية الزوجية أمرًا طبيعيًا، كما أن الموصفات المضادة تخلق التناسب بين الذين يتمتعون بهذه الصفات السلبية، وتجعل العلاقة طبيعية بينهم باعتبار أن كل شكلٍ لشكله ألف.

ومقصود الآية: إن زوجتم فزوّجوا الخبيث للخبيثة، والطيب للطيبة؛ ليتحقق التكافؤ بين الزوجين ويحدث بينهما الوفاق، حتى إن غير الخبيث زوجته كانت مثله تستطيع أن تردّ عليه، لا بدّ من وجود التكافؤ حتى في القباحة، وإلا فكيف تفعل الطيبة مع الخبيث، أو الخبيث مع الطيبة؟^(٢)

أراد الله عز وجل أن يوجهنا إلى أن نزوج فتياتنا الطيبات رجالًا طيبين، ويوجهنا أيضًا إلى أن نزوج شبابتنا الطيبين فتيات طيبات، لكي يكون تناسبًا صحيحًا وسليمًا، فهذا توجيه أخلاقي اجتماعي، لهم في توجيهها هذا التوجيه الرائع، أي: ينبغي يا عبادي أن يكون الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات.

وليس في الذنوب أفسد للقلب والدين من فاحشة الزنا، فلها خاصية في تعبيد القلب لغير الله، فإنهما من أعظم الخباثات، وكلما ازداد القلب خبيثًا ازداد من الله بعدًا،

في دائرة العلاقات الزوجية التي يتحكم فيها الانسجام الأخلاقي بين الزوجين، ما يجعل من مسألة التوافق الروحي والإيماني عنصرًا حيويًا في المسألة، نستطيع القول بأن المراد بالكلمتين هو المعنى الثالث المراد من الطيبين والخبيثين، ويؤكد ذلك طبيعة المقابلة بين الكلمتين^(١).

ولكن قد يشكل فهم الآية على البعض، فهل هو على تقرير الواقع بحيث يكون المعنى أن واقع العلاقات الزوجية أو ما يشبهها، هو الانسجام بين الزوجين في الخبث والطيبة؟

ولكن هذا غير واقعي، لأن كثيرًا من الطيبين والطيبات ابتلوا بزيجات خبيثة، كما أن كثيرًا من الخبيثات ارتبطن بعلاقة زوجية مع رجال طيبين.

أو هو تشريع للعلاقة الزوجية، حيث إنه لا بد للخبيثات من أن يتزوجن من الخبيثين، فلو تزوجن غيرهم، لكانت العلاقة غير شرعية، كما لن تكون هناك شرعية لزواج الطيب من الخبيثة أو الطيبة من الخبيث؟

الحقيقة أنه لا هذا ولا ذاك، فالمسألة جارية مجرى التناسب القائم على الاتفاق في العقيدة الطيبة، والأخلاق والسلوك الطيبين، ما يجعل الطيبين مناسيين للآتي

(١) انظر: النكت في القرآن الكريم، المجاشعي، ص ٣٥٧.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي ١٨ / ١٠٩٧١.

قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

أي: إن الفاسق الفاجر الذي من شأنه الزنا والفسق لا يرغب في نكاح الصالح من النساء، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة أو في مشركة مثلها، والفاسقة المستهتر لا يرغب في نكاحها الصالحون من الرجال، بل ينفرون منها، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة، ولقد قالوا في أمثالهم: إن الطيور على أشكالها تقع^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)^(٢).

ولا شك أن هذا حكم الأعم الأغلب كما يقال: لا يفعل الخير إلا الرجل التقى، وقد يفعل الخير من ليس بتقى، فكذا هذا، فإن الزاني قد ينكح المؤمنة العفيفة، والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف.

قال الألوسي رحمه الله «تقييح لأمر الزاني أشد تقييح، ببيان أنه بعد أن رضي بالزنا لا يليق أن ينكح العفيفة المؤمنة، والزانية بعد أن رضيت بالزنا لا يليق أن

ينكحها إلا من هو مثلها وهو الزاني، أو من أشد حالاً منها وهو المشرك، فأما المسلم العفيف فأسد غيرته يأبى ورود جفرتها»^(٣).

إن نكاح المؤمن المتسم بالصلاح الزانية، ورغبته فيها واندماجه في سلك الفسقة المشهورين بالزنا محرم عليه، لما فيه من التشبه بالفساق ومن حضور مواضع الفسق والفجور التي قد تسبب له سوء القالة واغتيال الناس له، وكم في مجالسة الفساق من التعرض لاقتراء الآثام، فما بالك بمزاوجة الزواني والفجار^(٤).

وقال الشيخ الشعراوي رحمه الله: «فهذا سبب طهر الأنسال أن يحرم الله سبحانه وتعالى الزنا، فيأتي الخليفة طاهر النسل والعنصر، محضوناً بأب وأم، مضمومًا بدفء العائلة، لا يتحملون عليه نسمة الهواء؛ لأنه جاء من وعاء طيب طاهر نظيف»^(٥).

إذن فهناك تناسب طبيعي قدره الله عز وجل في هذه الحياة كي تسير وفق منظومة صحيحة لا اعوجاج فيها، غير أن البعض يأبى إلا الخروج عن المألوف والطعن في طبيعة سير الأمور فيتسببون بالفساد والخراب وانتشار الرذيلة في المجتمع المسلم.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٣ / ٣١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ٤ / ١٣٤، رقم ٣٣٣٦.

(٣) روح المعاني ١٨ / ٨٤.

(٤) انظر: تفسير المراغي ١٨ / ٧١.

(٥) تفسير الشعراوي ١٦ / ١٠٢٠٣.

والشجرة الخبيثة.

فالكلمة الطيبة هي كلمة الحق، وهي أساس الوجود، ولا تستطيع قوى البغي والطغيان أن تقضى عليها، أو هي كلمة التوحيد، فهي كالشجرة الطيبة، ثابتة، مثمرة، متعالية، فبذورها تنبت في تلك التربة الخصبة، وكذلك الكلمة الطيبة تثبت في النفوس الطيبة، كالنخلة، وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك.

وأما الكلمة الخبيثة، فهي على النقيض من ذلك، هي كلمة الشرك والباطل التي تعمل على إفساد الحياة، وفي نشر بذور الشر في كل مكان، وفي كل نفس، وهي كالشجرة الخبيثة التي قد تتشابك أغصانها، وتتعالى فروعها، ولكنها لا تثمر إلا ثمراً مرّاً، ولا تعطي فائدة، كشجرة الحنظل، ونحوها، وفي نفس الوقت لا تتحمل أية هزة، فلا قرار لها ولا بقاء^(٢).

ووصف الشجرة الخبيثة، التي شبه بها الكلمة الخبيثة في صفتها بثلاث صفات: الأولى: أنها خبيثة، وذلك يحتمل أن يكون بحسب الرائحة، وأن يكون بحسب الطعم، وأن يكون بحسب الصورة والمنظر، واشتمالها على المضار الكثيرة.

وأصل (الخبيث) في كلام العرب كما

الخبيث في المثل القرآني

إن الله سبحانه وتعالى يضرب الأمثال لعباده في العديد من آياته في كتابه العزيز، وأمر بالاستماع إليها ودعا عباده إلى تعقلها، والتفكير فيها، والاعتبار منها.

وضرب الله عز وجل المثل للخبيث فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

هذان مثالان ضربهما الله تعالى للكلمة الطيبة، والكلمة الخبيثة، مثل الأولى بشجرة طيبة، ومثل الثانية بشجرة خبيثة، فلما ذكر مثل أعمال الكفار، وأخبر أنها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، وشرح أحوال الأمة الطيبة، وأحوال الفرقة الخبيثة، ذكر مثلاً يبين الحال في حكم هذين القسمين، ويصور سنته الجارية في الطيب والخبيث في هذه الحياة^(١).

ويضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليصور للناس سنته الجارية في الطيب والخبيث في هذه الحياة بالشجرة الطيبة،

(٢) انظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، علي الطهطاوي، ص ٢١٢.

(١) انظر: تفسير المراغي ١٣/ ١٤٧.

ذكرت سابقاً: المكروه، فإن كان في الكلام فهو الشتم، وإن كان من الملل فهو الكفر، وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار، ومنه قيل لما يرمى من منفي الحديد: الخبث^(١).

الثانية: كونها (اجتثت من فوق الأرض)، أي: استؤصلت. وهذه الصفة في مقابلة (أصلها ثابت) في صفة الشجرة الطيبة، وحقيقة (الاجتثاث) أخذ الجثة كلها من فوق الأرض، لكون عروقها قريبة من الفوق؛ فكانها فوق، وهذا يعني: أنه ليس لها أصل، ولا فرع، وليس لها ثمرة، ولا فيها منفعة^(٢).

الثالثة: كونها (ما لها من قرار)، فنفي أن يكون لها مكان تستقر فيه، وأن يكون لها استقرار.

قال الرمخشري رحمه الله: «شبه بها القول، الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت، والذي لا ييقى؛ إنما يضمحل عن قريب لبطلانه؛ من قولهم: الباطل لجلج^(٣)».

وعن قتادة رضي الله عنه أنه قيل لبعض العلماء: (ما تقول في كلمة خبيثة؟ فقال: ما أعلم لها في الأرض مستقراً، ولا في السماء مصعداً، إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي

بها القيامة)^(٤).

هذا هو مثل الكلمة الطيبة، ومثل الكلمة الخبيثة. وليس هذا وذاك مجرد مثل يضرب، ولا مجرد عزاء للطيبين وتشجيع؛ وإنما هو الواقع في الحياة، ولو أبطأ تحققه في بعض الأحيان، والخير الأصيل لا يموت ولا يذوي، مهما زحمة الشر وأخذ عليه الطريق، والشر كذلك لا يعيش إلا ريثما يستهلك بعض الخير المتلبس به، فقلما يوجد الشر خالصاً، وعندما يستهلك ما يلبسه من الخير، فلا تبقى فيه منه بقية، فإنه يتهالك، ويتهشم مهما تضخم واستطال^(٥).

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن فضله وعدله في الفريقين: أصحاب الكلمة الطيبة، وأصحاب الكلمة الخبيثة.

فبين سبحانه وتعالى فبين أنه في ظل الشجرة الثابتة مثلاً للكلمة الطيبة، يثبت الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، والقول الثابت: بكلمات القرآن، وبالعمل الصالح، وبكلمات الإيمان، يكون العون من الله، والثبات للذين آمنوا.

وفي ظل الشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار، ولا ثبات يضل الظالمين عن القول الثابت (يضلّ

(١) انظر: العين، الفراهيدي ٢٤٩ / ٤، تهذيب اللغة، الأزهرى ١٤٦ / ٧.

(٢) انظر: فتح البيان، القنوجي ١١١ / ٧.

(٣) الكشف ٥٥٤ / ٢.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٥٨٧ / ١٦.

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٢٠٩٨ / ٤.

وذلك لأنها أمثال مصداقها واقع في الأرض، ولكن الناس كثيرًا ما ينسونه في زحمة الحياة؛ ففي ضربها لهم زيادة إفهام، وتذكير، وتصوير للمعاني^(٣).

من خلال ما رأينا في المثل من مقابلة وموازنة بين حالتين يلمسهما القارئ لكتاب الله عز وجل، فينحاز إلى ما هو جدير به أن ينحاز إليه من عمل صالح يتقرب به إلى الله جل جلاله، وابتعاد عن الطالح من الأمر.

وفهم من هذا التصوير أن المؤمن مثل الشجرة، لا يزال يعطى من ثماره في كل وقت، صيفا وشتاء، ليلاً ونهاراً، وكذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل آناء الليل وأطراف النهار، وفي كل وقت وحين، والكلمة الخبيثة تمثل كفر الكافر، لا أصل له، ولا نبات، ولا فرع، ولا يصعد له عمل، ولا يتقبل منه شيء.

اللّه الظّالّمين)، فيضل هؤلاء بعدله بسبب ظلمهم وشركهم، واتباع الهوى، وتمكن الخرافات والأباطيل من نفوسهم القلقلّة المضطربة، وإضلالهم في الدنيا أنهم لا يشبّون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أوّل شيء، وهم في الآخرة أضل وأذلّ ويفعل الله ما يشاء بإرادته المطلقة^(١).

وذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أي: يثبت الذين صدقوا برسالة الأنبياء والمرسلين، يثبتهم على دينهم ويقيّنهم بسبب اعترافهم الثابت بتوحيد الله وطمأنينتهم به، فلم تهزه الشكوك ولم يزلزله الإيذاء أو التشكيك؛ فيظفّون على ما هم عليه من اليقين الثابت في الحياة الدنيا، لا ترحزهم عنه الشدائد والفتن، وإن كانت كموج البحر أو كقطع الليل المظلم، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله طرفه عين؛ فإن لم يثبتته، وإلا زلت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما^(٢).

وبين سبحانه وتعالى سبب ضربه للأمثال بقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

(١) انظر: الكشف، الزمخشري ٢ / ٥٥٤.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث ٤٩٢ / ٥.

(٣) انظر: لباب التأويل، الخازن ٣ / ٢٩٨.

مصير الخبيث وأهله

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يوجد في هذه الحياة الطيب والخبيث؛ للاختبار والامتحان والتمايز، وليلقى كل منهما جزاءه المناسب فهم لا يستويان أبدًا.

قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَعْمَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

تواصل صورة الخبيث في السياق القرآني، لترسم خاتمة له في جهنم وبئس المصير، فالخبيث هنا مجسم في صورة أكوام من الأقدار الكريهة، تجمع بعضها فوق بعض، ثم تقذف في النار، بدون اكتراث أو اهتمام، فهذه الصورة للخبيث أوقع في الحس والنفوس من أي تعبير آخر، وهي تهدف إلى التنفير من الخبيث، من خلال هذه النهاية المرسومة له، وشتان بين صورة الخبيث الكريهة التي تنتهي في النار، وبين صورة الطيب المحبوبة، التي تنتهي إلى الجنة^(١).

يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: إن الخبيث يجتمع بعضهم إلى بعضه، يضم الخبيث إلى الخبيث ويتراكم عليه، حتى يكادوا يكونون عليه

(١) انظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبدالسلام الراغب، ص ١٣٨.

لبدًا، وهذا تعبير يتناسب مع تكاثف شيء كله خبيث، أي: يجعل الله سبحانه وتعالى الخبيث الحاضر فوق الخبيث الغابر، فوق ما سبقه، فنظمه جميعًا بعضه لبعضه، وفي هذا إشارة إلى أن في جهنم مكانًا للجميع، وإن كان مزدحمًا متراكمًا، وإشارة إلى تلاحق الحاضرين مع من يقلدونهم، وإشارة إلى تميزهم على الطيبين، أو تميز الطيبين عنهم، وإن هذا كله ينبىء عن الخسارة المطلقة التي لا كسب فيها؛ ولذلك جعلهم الحق عز وجل هم الأخسرين، فجعل أصحابه في جهنم إلى يوم القيامة، وبئس المصير لمن خسر نفسه وماله^(٢).

فإن الله سبحانه وتعالى يفرق بين الطيب والخبيث في كل الأمور، ثم يكون الجزاء في الآخرة بأن يفترقا، فلا يجتمعان أبدًا؛ فلكل داره وقراره، فالطيب وأهله لهم الجزاء الطيب في جنات الرحمن، والخبيث وأهله لهم العذاب الأليم، والمصير الخبيث.

فكل عمل له نتائجه المترتبة عليه: ﴿فَإِنَّ الطَّيِّبَ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا الطَّيِّبُ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا الطَّيِّبُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا الطَّيِّبُ؛ لِذَلِكَ اسْتَحَقَّ مَجَاوِرَةَ الطَّيِّبِينَ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ.

والشقي الخبيث لا يفعل إلا الخبيث، ولا يقول إلا الخبيث، ولا يخالط إلا

(٢) انظر: زهرة التفاسير ٦/ ٣١٢٥.

﴿مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد:

١٧]، وسنن الله في الدنيا والآخرة واحدة، فالخبث في الدنيا خبيث في الآخرة. (٣)

وقد وصف الله سبحانه وتعالى الشرك والزنا واللواط بالنجاسة والخبث في كتابه دون سائر الذنوب، فقال عز وجل في حق اللوطية: ﴿وَلَوْطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَفَوَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسِيقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقالت اللوطية: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهَرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، فأقروا مع شركهم وكفرهم أنهم هم الخبيثون الأنجاس، وأن لوطاً وآله مطهرون من ذلك باجتنابهم له.

فكان الجزاء موافقاً لأعمالهم الخبيثة، فأنزل الله عز وجل عذابه عليهم، قال تعالى: ﴿فَاخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهًا وَمَظْمَرًا عَلَيْهِمُ حِجَابَةً مِّن سَجِيلٍ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَن تَتَوَسَّعُونَ﴾ [الحجر: ٧٣ - ٧٥].

«قلبا فأهوى بها منكسة عاليها سافلها، وغشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مسومة مرقوم على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه من الحاضرين منهم في بلدهم والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها» (٤).

الخبثين، وترى الخبث يتفجر من قلبه ولسانه وجوارحه؛ ولذلك استحق مجاورة الخبيثين في جهنم مأوى لهم. ولكن إن كثر الخبث وأهله من الزناة والفجرة والفاستقين المجاهرين للمعاصي أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون (١).

فعن زينب بنت جحش، رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم، دخل عليها فرعاً يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم، إذا كثر الخبث) (٢).

إن الله كتب النصر والغلب لعباده المتقين والخذلان والحسرة لمن يعاديهم ويقاتلهم من الكفار للصد عن سبيل الله، ليميز الكفر من الإيمان، والحق والعدل من الجور والطغيان.

وهذا التمييز بين الأمرين في سنن الاجتماع هو بقاء أمثل الأمرين وأصلحهما، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا

(١) العمدة من الفوائد والآثار الصحاح في مشيخة شهدة، شهدة الأبري، ص ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج، ومأجوج ١٣٨/٤، رقم ٣٣٤٦.

(٣) تفسير المراغي ٩ / ٢٠٦.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ١ / ١٨٢.

لقد حرم الله الجنة على كل خبيث، بل جعلها مأوى الطيبين ولا يدخلها إلا طيب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ نُؤْتِيهِمُ الْمَلَايِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَابَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٧٣].

فإنما استحقوا سلام الملائكة ودخول الجنة بطيبهم، والزنا من أخبث الخلق، وقد جعل الله سبحانه وتعالى جهنم دار الخبيث وأهله، فإذا كان يوم القيامة ميز الخبيث من الطيب، وجعل الخبيث بعضه على بعض ثم ألقاه وألقى أهله في جهنم، فلا يدخل النار طيب، ولا يدخل الجنة خبيث^(١).

موضوعات ذات صلة:

الأكل ، الخمر، الزنا، الشرب، الطعام،
الطيبات، الفواحش، المال

(١) انظر: روضة المحبين، ابن القيم، ص ٣٦١.